الصيام في شعبان

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٩ رجب ١٤٣٧ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله خلق الإنسان لعبادته، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، وجعل الله ﷻ طيب الحياة والهناءة والسعادة لمن أطاعه وعبده، يقول ربنا ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [النحل:٩٧].

وقد جعل ربنا ﷻ العبادة أنواعًا، وجعل منها فرائض ونوافل، وإنّ من أحبّ العبادات إلى الله ﷻ الصيام، يقول النبي ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، يقول الله: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي».

ويقول النبي ﷺ: «الصيام جُنّة»، وفي رواية: «الصوم جُنّة من النار».

ويقول النبي ﷺ: «للصائم فرحتان؛ فرحة حين فطره، وفرحة حين يلقى ربّه».

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: يا رسول الله، مُرني بأمر أحمله عنك، وفي ورواية: مُرني بأمر ينفعني، فقال النبي ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه لا مثل له».

وإنكم -يا عباد الله- عمّا قريب ستدخلون في شهر من شهور الصيام، ستدخلون في شهر يُستحب فيه -يا عباد الله- أن نكثر من الصيام فيه، إنه شهر شعبان، الذي كان النبي ﷺ يكثر من الصيام فيه.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان.

وتقول رضي الله عنها: لم يكن رسول الله ﷺ في الشهر من السنة أكثر صيامًا منه في شعبان.

وتقول رضي الله عنها: كان أحبّ الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان، بل كان يصله برمضان.

وقد جاء -يا عباد الله- أن نبيّنا ﷺ كان يصوم أكثر شعبان، فعن أمّنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان إلا قليلاً، وجاء عنه ﷺ أنه كان يصوم شعبان كلّه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرًا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كلّه، وكان يقول: «خذوا من العمل ما تُطيقون، فإن الله لا يَملّ حتى تَملُّوا».

وقالت أمّنا عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كان يصوم شعبان كلّه، وقالت رضي الله عنها: كان أحبّ الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان، ثم يصله برمضان، وقالت رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصوم في شهر ما كان يصومه في شعبان، كان يصومه إلا قليلاً، بل كان يصومه كلّه.

وعن أمّنا أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها قالت: ما رأيت النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان، وعنها رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين، إلا أنه كان يصل شعبان برمضان، وعنها رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم من السنة شهرًا تامًّا إلا شعبان، ويصل به رمضان.

وجاء الجمع -يا عباد الله- بين صيامه لأكثره وصيامه له كلّه في حديث واحد، فعن أمّنا عائشة رضي الله عنها قالت: لم أره صائمًا من شهر قطّ أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كلّه، كان يصوم شعبان إلا قليلاً.

وأظهر أقوال أهل العلم في الجمع بين هذه الأحاديث -يا عباد الله- وجهان؛

- الأول: أن النبي ﷺ كان ينوّع في ذلك، فتارة يصوم شعبان إلا قليلاً، وتارةً يصوم شعبان كلّه، فلربّما صامه في سنة صامه كلّه، ولربّما صامه في سنة أخرى صام أكثره أي صامه إلا قليلاً.
- والوجه الثاني يا عباد الله: أن المقصود بصيامه كلّه أنه يكثر من صيامه، وهذا سائغ في لغة العرب، يقول القائل: قمت الليل كله، وهو يريد أنه قام أكثره، لأنه ربّما نام فيه أو أكل فيه أو شرب فيه.

وهذا الوجه الثاني أظهر والله أعلم، وأقوى في النظر، فالأظهر والله أعلم: أن حال النبي ﷺ أنه كان يكثر من الصيام في شعبان، حتى أن الناظر إليه يظنّ أنه قد صامه كلّه.

فإن صام المسلم -يا عباد الله- شعبان كلّه فلا حرج عليه، لورود الأحاديث التي تدل على ذلك، وإن صام أكثر شعبان وأفطر قليلاً منه فهذا أفضل وأظهر والله أعلم.

وأما حديث: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا»، وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يجيء رمضان»، فالأصح من أقوال العلماء يا عباد الله: أن هذا نهي عن ابتداء الصيام بعد النصف من شعبان من باب الاحتياط لرمضان، ثم يتأكد النهي إذا بقي يوم أو يومان، لقول النبي ﷺ: «لا تَقدَّموا رمضان بصوم يومٍ ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه».

أما من كان يصوم قبل النصف من شعبان فإنه من السنة أن يكمل الصيام بعد النصف من شعبان، وكذا -يا عباد الله- من كانت له عادة صيام من الشهر فلم يصمها إلا بعد أن جاء النصف الثاني من شعبان، فإن له أن يصوم تلك العادة.

وأضرب لكم مثالاً: فلو أن عبدًا من عباد الله كان من عادته أنه يصوم ثلاثة أيام من الشهر، فلما جاء شعبان لم يتيسر له أن يصوم هذه الأيام الثلاثة إلا في النصف الثاني من شعبان، فإنه يصومها ولا حرج في ذلك، وكذلك -يا عباد الله- من أراد أن يصوم الإثنين والخميس من النصف الثاني من شعبان، فلا حرج عليه في ذلك، ولو لم يكن صامها في النصف الأول من شعبان، وكذا -يا عباد الله- من تيسر له الصيام في النصف الثاني من شعبان، حيث كان مشغولاً في النصف الأول من شعبان، فتيسر له أن يتنفّل بالصيام في النصف الثاني من شعبان، فلا حرج عليه، بل هذا من الصيام المستحب.

وإنما النهي كما ذكرنا -يا عباد الله- أن يبتدأ العبد الصيام بعد النصف من شعبان من أجل أن يحتاط لرمضان، من أجل حال رمضان.

فما أجمل يا عبد الله -ما أجمل يا عبد الله!- أن تكرم نفسك بالإكثار من الصيام في شهر شعبان مقتديًا في ذلك برسولك وحبيبك ﷺ، ومحييًا سنته ﷺ، ومبيّنًا أنك تحب الصيام، لأن ربك يحب الصيام!

فها أنت وأنت مقبل على شهر يجب عليك أن تصوم فيه -وهو شهر رمضان- تبادر إلى الإكثار من الصيام في شهر قبله لا يجب عليك أن تصوم فيه، وإنما هو قلب محبّ لله، محبّ لما يحبّه الله ﷻ.

واعلموا -عباد الله- أن من القواعد الشرعية في النوافل أن يفعل الإنسان منها ما يطيق، وألا يُمِلّ نفسه، فأنت -يا عبد الله- انظر إلى حالك، وانظر إلى ما تطيق أن تصومه من شعبان، فصمه ولك في ذلك خير.

فإن أطقت -يا عبد الله- أن تصوم أكثر شعبان -أن تصوم شعبان إلا قليلاً- فذاك خير لك، فأنت تتشبّه بخير من يُتشبّه به -تتشبّه بالنبي ﷺ- وتحيي سنته.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وأكرموا أنفسكم بطاعة الله، ومروا أهليكم وأولادكم بطاعة الله ﷻ، فإن الدنيا دار ممرّ وليست دار مقرّ، وإنها -والله- سرعان ما تنتهي، وإن العبد منّا -يا عباد الله- ليمرّ عليه اليوم وهو لا يدري هل يدور عليه من الأسبوع، وإن العبد ليمرّ عليه الشهر وهو لا يدري هل يمرّ عليه من السنة الأخرى، ولكنّه على يقين أنه اليوم في قدرة على أن يتقرّب إلى الله بما يستطيع من العبادات، كما أنه على يقين من أن الموت قادم لا محالة، وأن الموت لا يدري أحدٌ موعده، وإنما هو أجل عند الله ﷻ.

ألا فلنتقّ الله عباد الله، ولنسارع إلى طاعة الله، ولنتسابق إلى جنة الله، لعلّنا أن نكون من المفلحين.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن من سنة نبيكم ﷺ العبادة وقت غفلة الناس، ومن ذلك إكثاره من الصيام في شهر شعبان، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شهر

شعبان؟ فقال النبي ﷺ: «ذاك شهر يَغفُل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع الأعمال فيه إلى رب العالمين، فأحب أن تُرفع أعمالي وأنا صائم».

إن شهر شعبان -يا عباد الله- شهر يَغفُل الناس عنه، لأنه يقع بين شهر رجب -وهو شهر محرّم تعظّمه الناس- وشهر رمضان -وهو شهر مبارك يصوم الناس فيه وجوبًا- فيغفل الناس فيه عن الصيام وعن الأعمال، فكان النبي ﷺ يُحييه بالصيام، فيصومه إلا قليلاً.

ولذا -يا عباد الله- كان ممّا يُعظم الأجر لعبد الله أن يتعبّد الله في وقت غفلة الناس، أو في المكان الذي يُغفل فيه عن عبادة الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ».

«العبادة في الهرج»: أي في وقت القتل واختلاط الناس بسبب الفتن، كالهجرة إلى النبي ﷺ.

فالعبد -يا عباد الله- الذي يكثر من عبادة الله، يكثر من ذكر الله، يكثر من طاعة الله، في وقت غفلات الناس، ذلك يدل على قوة إيمانه، وإقباله على الله ﷻ، فينال ثوابًا أعظم وأجرًا أكرم، بل إن النبي ﷺ جعل ثواب عمله كثواب الهجرة إلى النبي ﷺ، وأنت -يا عبد الله- قد فاتتك الهجرة إلى النبي ﷺ، لكن لم يفتك هذا العمل، فحيثما كنت في مكان وجدت الناس فيه غافلين عن طاعة الله فاعبد الله، اذكر الله، واقرأ القرآن، فإن لك بذلك منزلة رفيعة، وحيثما كنت في مكان رأيت أن الناس فيه في غفلة فلا تغفل معهم يا عبد الله، فإذا فعلت ذلك كنت من الفائزين.

ولذا -يا عباد الله- كان من أسرار أن قيام الليل أفضل نوافل الصلاة، من أسرار ذلك: أنه يكون في غفلة الناس، ولذا جاء في الحديث: «وصَلّوا والناس نيام».

فعلينا عباد الله -علينا عباد الله- إذا رأينا الناس في غفلة -في زمان أو مكان- أن نجتهد في إكرام أنفسنا بطاعة الله ﷻ، بذكر الله، بعبادة الله ﷻ، ولنا في ذلك مقام كريم، وفضل عظيم.

فالله الله عباد الله، إن الله أكرمكم فأمدّ في أعماركم، ونوّع لكم في أعمالكم، ورضي منكم بالقليل، فاجتهدوا في طاعة الله -يا عباد الله- تنالوا ثواب الله.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملاكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]، صلوا عليه وسلموا تسليمًا!

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشرًا».

فأكرموا ألسنتكم -يا عباد الله- بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، لا سيما في هذا اليوم المبارك، يوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة على النبي ﷺ.

فاللهمّ صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهمّ أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهمّ يا ربنا يا كريم، يا قوي يا عزيز، إن لنا إخوة في سوريا عامة وفي حلب خاصة قد مسّهم الضر يا رب العالمين، اللهمّ ففرّج عنهم فرجًا عاجلاً يا رب العالمين، اللهمّ ففرّج عنهم فرجًا عاجلاً يا رب العالمين، اللهمّ ففرّج عنهم فرجًا عاجلاً يا رب العالمين، اللهمّ قد تكالب عليهم أعداؤك، اللهمّ فاكسر أعداءك وانصر أولياءك يا رب العالمين، اللهمّ لا حول لنا ولا لهم ولا قوة إلا بك يا رب العالمين، اللهمّ فقوّنا وقوّهم يا رب العالمين.

اللهمّ أقرّ أعيننا بتفريج كربات إخواننا يا رب العالمين، اللهمّ إليك المشتكى، اللهمّ إليك المشتكى، اللهمّ إليك المشتكى، وأنت المستعان، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك، يا رب العالمين، اللهمّ فانصر إخواننا، اللهمّ فانصر إخواننا، اللهمّ فانصر إخواننا.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، نسألك كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذه الفريضة المباركة أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ اجعلنا من أهل الجنة أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.